

دراسة معجمية
نشأتها ونظرياتها ومدارسها

Studi Leksikologi Bahasa Arab; Perkembangan, Teori dan Aliran-alirannya

R. Taufiqurrochman

Abstrak

Ilmu leksikologi Bahasa Arab atau ilmu yang mempelajari kosakata sama tuanya dengan ilmu bahasa Arab. Hanya saja, dalam hal penyusunan kamus, bangsa Arab tertinggal dengan bangsa lain seperti Yunani, Cina dan India. Kamus pertama bahasa Arab adalah Al-Ain karya Kholil bin Ahmad Al-Farahidy. Ada 3 teori yang dijadikan pedoman awal bagi bangsa Arab terdahulu dalam mengkodifikasi bahasa mereka dalam kamus, yaitu: kelas bahasa (mustawa lughawi), kawasan bahasa (dairah lughawiyah) yang hanya dibatasi pada masyarakat baduwi dan itupun sejak era Jahiliyah hingga akhir abad kedua hijriyah, dan tahlil dalaly (analisis makna). Secara umum, kamus bahasa Arab diklasifikasikan menjadi 2 golongan; kamus makna dan kamus lafal. Penyusunan kamus makna lebih mengedepankan teori al-Huquul al-Dalaliyah atau medan makna sehingga kamus yang lahir tersusun secara tematik. Sedangkan kamus lafal lebih variatif. Dalam perkembangannya, ada 5 aliran kamus lafal bahasa Arab, yaitu: mu'jam shawty, mu'jam alfaba'i al-khash, mu'jam qawafy, mu'jam alfaba'i al-'aam dan mu'jam nuthqy. Masing-masing sistematika atau aliran kamus memiliki kelebihan dan kekurangan. Akan tetapi, setiap kamus yang lahir selalu memiliki tujuan dan segmen tersendiri sehingga semua saling melengkapi.

Kata Kunci: *Mu'jam, Dalalah, Bahasa Arab*

مقدمة

تمر اللغة عادة بمرحلة النطق قبل مرحلة التدوين، أي أنها تكون في بادئ أمرها على ألسنة المتكلمين بها، لا مسجلة في بطون الكتب، وكم من لغة نشأت وترعرعت ثم اندثرت قبل أن يعرف الإنسان الكتابة كاللغة السامية الأم، واللغة الآرامية، واللغة الأكادية وما إلى ذلك. فقد تطورت اللغة بتطور الفكر نفسه. فالإنسان لا يستطيع أن يحفظ كل الشروة اللغوية القومية، مهما أوتي من حدة الذكاء وقوة الذاكرة، لذلك

يصطدم أحيانا بكلمات لا يعرف معناها بدقة ووضوح. من هنا أهمية المعجم كمرجع للباحث عن معاني الألفاظ التي استغفلت عليه. وكيف جمعت الكلمات العربية لدى العرب القدامى في تأليف المعاجم العربية؟ رغم أن العرب لم يعرفوا التأليف المعجمي قبل العصر العباسي، بل كانوا متأخرين في تدوين اللغة العربية أي في التأليف المعجمي بالنسبة إلى الأمم الأخرى كالأشوريين واليونانيين والهند. ¹ وما هي النظرية التي استخدمها العرب القدامى في جمع أو تركيب الكلمات المعجمية وفي تصنيف المعاجم العربية؟ وهذه الرسالة الوجيزة تحاول على بيان مفهوم المعجم مع نشأة المعاجم العربية، وبيان نظرية الجمع والتصنيف المعجمي.

مفهوم المعجم

وكما كتبه عبد الدايم في كتابه "النظرية اللغوية في التراث العربي"، إن اللغويين قد قرروا بأن المعجم "قائمة بمفردات اللغة أو مورفيمات" أو بتعبير بلومفيلد "المخزون الكلي لمورفيمات اللغة". ² وعرف إميل يعقوب أن المعجم هو كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع. ³ وأما المعجم الكامل -عند عطار- فهو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها. ⁴

فالمعجم أو القاموس هو كتاب يحتوي مجموعة من مفردات اللغة مرتبة ترتيبا أبجديا، أو في نظام آخر محدد مع شرح معانيها، وعادة ما يذكر المعلومات الخاصة بها في اللغة نفسها، أو في لغات أخرى؛ بالإضافة إلى ذلك فإن القاموس تتعرض لطريقة نطقها، واشتقاقها والمترادفات، والاصطلاحات، مع ذكر الشواهد التوضيحية.

نشأة المعاجم العربية

وكما سبق، فإن العرب لا يعرفون التأليف المعجمي قبل العصر العباسي. وقدم إميل يعقوب ⁵ إن ذلك لأسباب عدة، أهمها: (1) انشمار الأمية بينهم، فالذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة قبل الاسلام قليلون؛ (2) طبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر؛ (3) اتقائهم للغتهم، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر حتى يقول ابن عباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه". ⁶ وإن كانت العرب، لم يعرفوا المعاجم قبل العصر العباسي، لكن لا شك في أن الفكرة المعجمية كانت قد بدأت تراودهم منذ أن بدأوا أن يشرحوا القرآن. ⁷

ويظهر أن الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم هو حاجة العرب إلى تفسير ما استغلقت عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم. يؤكد على ذلك ثلاثة أمور: أولها ما روي عن استفسار العرب عن معاني بعض ألفاظ القرآن، وثانيها كثرة الكتب التي ألفت في أوائل مرحلة التدوين، في موضوع غريب القرآن، وأول من كتب في هذا الموضوع عبد الله بن عباس، ثم تتالت بعده الكتب التي سلكت مسلكه. وثالثها أن العلوم العربية الأولى من تفسير وفقه وبلاغة ونحو وقراءة وغيرها، إنما نشأت في بادئ أمرها لحفظ القرآن وتفسيره.⁸

وأياً يكن الباعث إلى جمع اللغة، فإن اللغويين العرب - كما فقال البستاني - اعتمدوا في هذا الجمع أساسين: واحداً زمانياً وآخر مكانياً. وعلى الأول حصروا التدوين في أدب الجاهلية وصدر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً؛ وعلى الثاني جعلوا المدون في البدو دون الحضرة وسكان أطراف الجزيرة، فخصوا التدوين في قبائل قيس عيلان، وتميم وأسد وهذيل وقريش وبعض كنانة وبعض الطائيين، ومنعوا الأخذ عن لحم وجدام وجيران مصر والقبط، وقضاة وغسان إباد جيران أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرية، وتغلب لمجاورتهم اليونانية، وبكر جيران النبط والفرس، وأهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة.⁹

أما المراحل التي قطعها جمع اللغة، فيذكر أحمد أمين¹⁰ أنها ثلاث: في المرحلة الأولى، جمعت اللغة حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في الإبل، ويسمع في اسم الأسد وما إلى ذلك، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع. وفي المرحلة الثانية جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وقد وضع في هذه المرحلة عدد من الكتب التي يمكن تسميتها بكتب الموضوعات، ومنها كتاب المطر وكتاب اللبن لأبي زيد، وكتاب النخل والكرم، وكتاب الإبل، وكتاب أسماء الوحوش للأصمعي. وفي المرحلة الثالثة تم وضع المعاجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة.

وأول من ألف معجماً لغويًا عربيًا باجماع اللغويين هو الخليل بن أحمد الفراهيدي واضح "كتاب العين"، فوضع للغويين منهج التأليف المعجمي أو التركيب العام، وسن لهم سُنَّته، ثم تتالت المعاجم بعده تنهج نهجه أو تخالفه في بعضه.

الدراسة المعجمية العربية ومشكلاتها

1- عدم النظام الخاص للدراسة المعجمية

ومن التساؤلات التي قدمها اللغويون أو الباحثون بالنسبة إلى دراسة المعجم العربي: هل ثمة بنية للمعجم العربي ونظام لمفرداته؟ وهل ثمة نظرية تقوم على رصد هذا النظام؟. وهذه الأسئلة تدل على أن اللغويين قابلوا بين علوم الأصوات والصرف والنحو من جهة، وبين علم الدلالة والمعجم من جهة أخرى على أساس قياس الأنظمة في الأولى وغياها في الثانية. وقد انبنى على ذلك، أيضا فهم مصطلحات مثل اللهجات والضرورة والشذوذ كما لو كانت مصطلحات نحوية تسربت إلى الدرس المعجمي مع أنها ترد في المعجم على نحو خاص يضيف لها بُعدا لا يقوم لها في الدرسين الصرفي والنحوي.

وقدم عبد الدايم¹¹ أن سبب القول بانتفاء النظام عن المعجم هو بحث اللغويين في المعجم عن النظام الصرفي للغة، وليس النظام المعجمي، ولو أنهم فرقوا بين النظامين المعجمي والصرفي للغة لما نفوا عن المعجم النظام. إن قول بلومفيلد بأن المعجم "ملحق للنحو لأنه يمثل قائمة بغير القياسات الأساسية" يفيد بحثه عن النظام الصرفي للغة، وهو ما يتضح، كذلك، في حديث الأستاذ تمام حسان عن افتقاد المعجم للعلاقات العضوية بين كلماته وعدم صلاحيته للجدولة، إذ ليست الجداول إلا التصريفات القياسية لكلمات اللغة.

وعلى الرغم من هذا الوضع طرح اللغويون دراسات معجمية تحاول تقسيم نظرية للمعجم. فقد أنشأ الدرس التطبيقي المكثف للمعجم علمين يتصلان بالمعجم، هما علم المعاجم *Lexicology* وعلم صناعة المعاجم *Lexicography*. ويعني بعلم المعاجم بالدراسة النظرية الموحدة لمعاجم الوحدات اللغوية على المستويين الدلالة والنحوي، ويعني بعلم صناعة المعاجم بتصنيف المعجم واستخدامه. وشرح علي القاسمي فرقا بين علم المفردات أو علم الألفاظ *Lexicology* والصناعة المعجمية *Lexicography*. فالمصطلح الأول يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات. ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ، وأبنيتها، ودلالاتها المعنوية والإعرابية، والتعبير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدد المعاني. أما الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقا لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائي¹².

2- صعوبة دراسة الظاهرة المعجمية

يرصد المعجم كلمات اللغة ومورفيماتهما تسجيلا للجانب الدلالي للغة. وهو بذلك يتصل أول ما يتصل بالجانب الدلالي للغة، أي أن الظاهرة المعجمية دلالية في جوهرها. وهذا ما يفيد تصنيف علم الدلالة إلى علم دلالة معجمي وعلم دلالة تركيبية. كما يورث هذا مشكلات الدلالة المختلفة. منها مشكلة تجريدية الدلالة

وصعوبة دراستها، إذ أن الدلالة غير مادي أو تجريدية يُتصوّر بالعقل ولا يدرك بالحواس، بخلاف الشكل الذي كونه ماديا قابلا للإدراك بإحدى الحواس. ومن المشكلة أيضا، عدم استقلال الدلالة بمستوى لغوي واحد كما هو الشأن مع فروع اللغة الأخرى، إذ يستقل علم الأصوات بمستوى الأصوات، والفونولوجي بمستوى المقاطع، وعلم الصرف بمستوى الكلمات، وعلم النحو بمستوى الجمل. إن الدلالة على العكس بذلك ترد في مستويات اللغة المختلفة حيث يرد من أنواع المعنى: المعنى المعجمي والمعنى النحوي أو التركيبي والمعنى الصوتي والمعنى الفونولوجي... إلخ. ويعني ذلك أن تقديم تركيب دلالي للغة يستلزم التنقل بين هذه المستويات المختلفة من اللغة التي تتحرك فيها الدلالة.

نظريات الجمع والتصنيف المعجمي

1- المستوى اللغوي

أول ما يثار بخصوص جمع العربية فرضية الخاص والعام، إذ يبادر كثير من الباحثين إلى نفي وعي اللغويين العرب بالمستوى اللغوي الذي تنقسم به اللغة إلى لغة مشتركة وأخرى خاصة. ويقول بعض الدارسين عن عمل اللغويين العرب: كان ينبغي للعلماء ألا يخالطوا بين اللغة ورسيلتها في الرواية أو الدراسة، لكنهم لم ينتبهوا لهذا التحرز، فخلطوا بين اللغات المتعددة. والحقيقة —عند عبد الدايم— أن اضطراب اللغويين وخلطهم بين اللغة المشتركة واللغة الخاصة أمر غير قائم. وإن كل ما يمكن أن يؤخذ على اللغويين العرب هو عدم تخصيص مباحث للغة المشتركة وأخرى خاصة باللغة الخاصة. وهو أمر شائع في درسنا اللغوي الذي لم يفصل بين العلوم نفسها، فأورد بين دفتي كتاب واحد علوما شتى كالأصوات والصرف والنحو.¹³

يعني ما سبق أن البحث يرى أن ليس صحيحا أن المعجميين العرب الأوائل قد أهملوا تسجيل شيع من اللهجات أو خلطوا اللهجات باللغة المشتركة، وأن الصحيح أنهم قد جمعوا كلاً منهما وميّزوه بعضه عن بعض.

2- دائرة اللغة

لقد وضع المعجميون العرب نموذجاً فريداً في تحديده لدائرة اللغة العربية. وهم يميزون ما بين اللغة من المقبولة والمردودة. فاللغة العربية المقبولة نوعان: أحدهما استعمله العرب، والثاني كان يمكن أن يستعملوه. قال الزركشي في البحر المحيط: لا تلم اللغة إلا بخمس شرائط. أحدها: ثبوت ذلك عن العرب بسند صحيح يُوجب العمل. والثاني: عدالة الناقلين كما تُعتَبَرُ عدالتهم في الشرعيات. والثالث: أن يكون النقل عَمَّنْ قولُه حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل قحطان ومعدّ وعدنان فأما إذا نقلوا عَمَّنْ بعدهم بعد فسَاد لسانهم واختلاف المولدين فالأ. وقال ابن جني

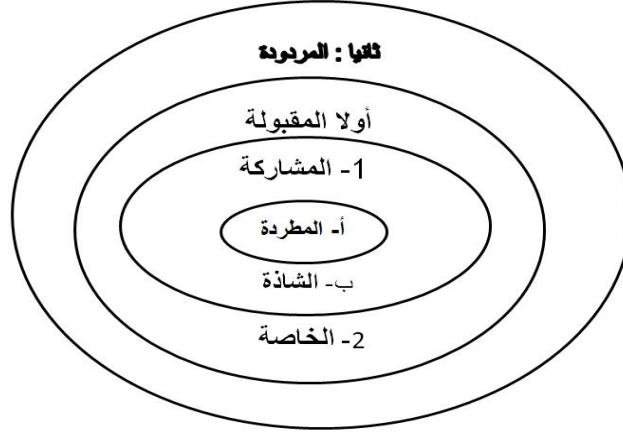
يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِ الْمَوْلَدِينَ فِي الْمَعَانِي كَمَا يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِ الْعَرَبِ فِي الْأَلْفَاظِ. وَالرَّبْعُ: أَنْ يَكُونَ النَّاظِلُ قَدْ سَمِعَ مِنْهُمْ حَسًّا وَأَمَّا بغيره فلا. والخامس: أَنْ يَسْمَعَ مِنَ النَّاقِلِ حَسًّا.¹⁴

وقال عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النباتية: اعلم أن اللغوي شأنه أن يُنْقَلُ ما نطقت به العرب ولا يتعداه وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي وقيس عليه ومثالهما المحدث والفقهاء فشأن المحدث نقل الحديث برؤيته ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرف فيه وييسط فيه علكه وقيس عليه الأمثال والأشباه.

وأما الخليل فهو يحدد دائرة اللغة للمعجم العربي من المستعمل والمهمل والمحظور.¹⁵ إذن، لم يقتصر الخليل على المستعمل كما هو الشأن في العمل المعجمي، وذلك لبيان علاقة التركيب المعجمي العام عنده بالبنية الصوتية للكلمات. والحقيقة أن جمع الخليل بين المستعمل والمهمل بناء على البنية الصوتية يكشف عن تصور خاص للكلمة العربية يتمثل في أنه يريد في معجمه الجمع بين تفسير البنية الصوتية والدلالية للكلمات؛ إذ أراد مع المستعمل أن يضع في مقابله المهمل لبيان حدود البنية الصوتية للغة مثلما يتم في المعجم بيان النية الدلالية لها.¹⁶

واستخلص عبد الدائم حول نظريات التصنيف المعجمي بقوله: ويقوم المعجميون العرب بتصنيف المادة التي يدرجونها في دائرة العربية المستعملة التي ليست محظورا صوتيا ولا مهملة استعمالا فلا يتركون ضربا واحدا، بل يصنفونها بشكل أكثر تعقيدا وتركيبا على أسس لغوية عامة، إذ يصنفونها على النحو التالي:

- يرفضون بعض ما جمعوا من المادة اللغوية ويردونه بسبب من التصحيف والتحريف واللحن والخطأ والغلط والسهو... إلخ،¹⁷ فيتشكل بهذا هامش للغة المردودة غير المقبولة يمثل هامشا خارجيا بدائرة اللغة المستعملة.
 - يجعلون غير المردود من اللغة المستعملة على صنفين، هما: اللغة الخاصة بالشعر أو اللهجة واللغة المشتركة. ويجعلون اللغة الخاصة هامشا داخليا للغة المستعملة فيلي بذلك هامش اللغة المردودة، كم يبقى هذا الهامش خارج دائرة اللغة المشتركة، إذ يحيط بها من الخارج.
 - يصنفون اللغة المشتركة بدورها إلى شاذ ومطرودة.¹⁸ وتمثل اللغة الشاذة هامشا تاليا لهامش اللغة الخاصة، ويكون هذا الهامش داخليا بالنسبة لدائرة اللغة المشتركة، كما يكون خارجيا بالنسبة لدائرة اللغة المطرودة؛ إذ يحيط بها على حين تبقى هذه الدائرة في مركز دائرة اللغة المشتركة.
- يصور الرسم التالي تصنيفهم اللغة المستعملة أي غير المحظور وغير المهملة.



3- التحليل الدلالي

وذكر عبد الدايم أن اللغويين في التراث العربي قد استخدموا عدة مناهج في تحليلهم الدلالي مع كل صور الاتفاق اللفظي.¹⁹ وتلك المناهج هي:

أ- الاشتراك الدلالي؛ وهو المنهج الذي يفترض أن اللفظ واحد تشترك فيه كلمات مختلفة ذوات دلالات متعددة، كأن تشترك في لفظ "أن" الحرف الناسخ والفعل الماضي "أن".

ب- الاشتراك اللفظي؛ وهو المنهج الذي يفترض أن ألفاظا متعددة قد أخذت شكلياً لفظاً واحداً، ككلمة "عين" التي تكون للباصرة ولعين الماء... إلخ.

ت- الاشتقاق القياسي؛ وهو يعرف كذلك بالاشتقاق الصغير. وهو الذي يكون بين الكلمات المأخوذ بعضها من بعض عن طريق تغيير صرفي محدد يبينه الصرفيون بالميزان الصرفي، كاشتقاق اسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع قلب حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر، واشتقاق اسم المفعول من الثلاثي على وزن مفعول... إلخ.

ث- الاشتقاق السماعي؛ وهو المنهج الذي طبقه ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة، حين مد مظلة القياس لتشمل ما لا يملك طريقاً قياسية للاشتقاق مثل جمعه تلك الكلمات التي لا تشترك إلا في الجذر، أي ذوات صلة جذر فحسب، دون أن تكون مأخوذة بعضها من بعض. ومن ذلك ما نجده تحت جذر "خ ل ق"،²⁰ وهو: الخلاق: الحظ أو النصيب من الخير؛ لأنه قد قُدِّر لكلٍ أحدٍ نصيبه. الخلاق ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران، والخلقاء يقال هضبة خلقاء: لا نبات بها. وخلقاء الشيء: مستواه. الخلق: حال النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير وشر من غير حاجة إلى فكر وروية.

الخُلقة: الفطرة". لقد جمع هذه المفردات التي ترد للجذر "خ ل ق" تحت أصلين اثنين لا غير على الرغم من أنه ليس ثمة طريق للقول بأخذ كلمة منها من أخرى.

ج- الاشتقاق الكبير؛ وقد ذكر ابن جني تطبيقات له في خصائصه. وقد سُمِّي أيضا بتقليب الكلمة، بل يُذكر أحيانا بالاشتقاق الأكبر. وهو منهج يرصد العلاقة التي تكون بين الجذر وتقالبياته. ويُعرف من هذا المنهج، أن الاتفاق بين الألفاظ بسبب اتفاقها في المادة اللغوية دون أوزانها؛ إذ الفرق في ترتيب الجذر الذي هو هيئة الجذر دون مادته أو أصوله. مثل: (ق و ل) و (و ل ق) و (و ل) و (ل ق و) وتقالبيها الستة بمعنى الخُفة والسُرعة.

ح- الاشتقاق الأكبر؛ وقد طبقه ابن جني كذلك تحت عنوان "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني".²¹ إذ يحاول ابن جني إيجاد دلالة بين جذور لم تشترك في الجذر تمامه بل اشتركت فقط في جزء كبير من الجذر دون بقيته، مثل: "أز" و"هز" فالهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظين لتقارب المعنيين.

ويتفق التراث اللغوي العربي مع الدرس اللغوي المعاصر في ثلاثة من مناهج التحليل الدلالي، وهي مناهج الاشتراك اللفظي *hyponymy* والاشتراك الدلالي *polysemy* والاشتراك الجذري *eponymy* الذي يظهر مع الاشتقاق القياسي مع زيادة التراث اللغوي العربي بثلاثة مناهج أخرى، وهي مناهج الاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر.

المعاجم العربية ومدارسها

إن المعاجم العربية وعان رئيسان: معاجم مرتبة حسب المعاني، ومعاجم مرتبة حسب الألفاظ.

أ- معاجم المعاني

لقد سبق العرب الغربيين إلى فكرة ترتيب المفردات اللغوية في شكل حقول معجمية. بل إن بداية جمع المادة اللغوية كان في صورة رسائل كل منها ترصد مفردات حقل معين. ومن هذه الرسائل اللغوية: كتاب الابل، كتاب الخيل، كتاب خلق الانسان، كتاب الحشرات، كتاب النبات، كتاب الأنواء. وقبل تأليف المعاجم العربية مرتبة صوتيا أو ألفبائيا، كذلك ظهر عدد من المعاجم المرتبة حسب المعاني، مثل: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمداني، ومتخير الألفاظ لابن فارس، فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، والمخصص في اللغة لابن سيده، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلطف لابن الأجدابي.²²

فالغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224) يعد أول معجم عربي مرتب حسب المعاني، مكث مؤلفه أربعين سنة في جمعة وتصنيفه. ومن موضوعاته: كتاب خلق الانسان، كتاب النساء، كتاب اللباس، كتاب الأظعمة، كتاب الأمراض، كتاب السلاح، كتاب الأواني، كتاب الشجر والنبات، كتاب الإبل، كتاب الغنم، كتاب الوحشي.

وأما المخصص لابن سيده فيعد أضخم معجم عربي في التراث العربي، وأشمل مصنف مرتب حسب المعاني والحقول. ومن موضوعات ذلك المعجم: الإنسان (صفاته وخلقته وأمراضه... إلخ)، الحيوان (الخيول، الإبل، الغنم... إلخ)، السماء والمناخ (المطر، الشمس، النجوم... إلخ)، الأرض (النبات، الأشجار، الجبال... إلخ)، المواد (المعادن، الأدوات، الملابس، الطعام... إلخ)

نظرا إلى نموذج المعجمين فيما سبق، فيعرف أن ترتيب المواد اللغوية في معاجم المعاني يدور على نظرية الحقول الدلالية، فيكون نوع تلك المعاجم موضوعيا لأن المفردات مرتبة حسب الموضوع الخاص الذي يجمع في ما يقال باصطلاح "كتاب".

ب- معاجم الألفاظ

فالمعاجم التي تركبت حسب الألفاظ فتتقسم على خمس مدارس، وهي: مدرسة الترتيب الصوتي، ومدرسة الترتيب الألفبائي الخاص، ومدرسة التقفية، ومدرسة الترتيب الألفبائي العام، ومدرسة الترتيب النطقي. ولكل من المدرسة أساس استخدمه واضع المعجم في ترتيب وتركيب المفردات المدونة داخل معجمه.

(1) مدرسة الترتيب الصوتي

إن المعجم العربي الأول الذي جمعه خليل بن أحمد الفراهيدي هو المعجم التابع بنظام الترتيب الصوتي. يقال الصوتي لأن الخليل أكبر اهتماما بأصوات العرب في تأسيس الكلمات المعجمية. وهذه المدرسة لها أسس في نظام الترتيب المعجمي.

الأساس الأول: ترتيب الحروف. بدأ خليل بأقصى الحروف مخرجا فجعلها بدابة، ولم يبدأ بالهمزة لعدم ثباتها، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فبدأ بالعين حتى انتهى إلى حروف الشفتين، ثم حروف المد وبعدها الهمزة. ورتب خليل حسب مخرج الحروف وفق النظام التالي / ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ي / أ. وضعت كل كلمة تحت أقصى حروفها مخرجا دون النظر إلى موضع الحرف، سواء كان في

بدايتها أم في وسطها أم في آخرها، مثل كلمة (لعب) أوردتها في حرف العين لأنه أقصاها مخرجا، ولا ترد في غيره.

والأساس الثاني: تقسيم الأبنية. ويقال أيضا بنظام الأبنية أو الكمية حيث قسمت الكلمات بالنظر إلى حروفها الأصول ووضعت تحت الأبنية: الثنائي - الثلاثي الصحيح - الثلاثي المعتل - اللفيف - الرباعي - الخماسي.

والأساس الثالث: تقليب الكلمات. وإن الكلمات التي تدخل تحت كل بناء تقلب على الصور المستعملة في العربية، ولذا فإن جميع تلك الصور ترد مرة أخرى في تحت أقصى حروفها مخرجا، ومن الأمثلة السابقة (لعب - ليع - بلع - بعل - علب - عبل) هذه التقلبات المختلفة للحروف الثلاثة يرد المستعمل منها تحت حرف العين، في باب الثلاثي الصحيح، في مادة (علب)، لأن العين هي أقصاها مخرجا، ثم اللام لأنها من طرف اللسان، ثم الباء لأنها من الشفتين، وهكذا بقية الكلمات التي ذكرت سابقا تذكر في موضع واحد مع جميع تقلباتها المستعملة. وقد استعمل تقلب الكلمات ليكون طريقة إلى إحصاء جميع الكلمات العربية المستعملة، وليس معناه أن جميع التقلبات استعملها العرب، بل منها ما استعمله ومنها ما أهمله، ولكن هذه الطريقة الإحصائية تُبرز له كل الصور الممكنة ليعرف بها المستعمل والمهمل.

(2) مدرسة الترتيب الألفبائي الخاص

وسميت أيضا بمدرسة الجاهرة نسبة إلى المعجم الذي رتبته أبو بكر بن دريد، وهو أول من استخدم النظام الترتيبي الألفبائي الخاص. وبعدها ظهرت صعوبة طريقة العين والمعاجم العربية الأخرى التابعة بالترتيب الصوتي، قدم ابن دريد ترتيب مواد المعجم حسب النظام الألفبائي تخفيفا للمطالعين على المعجم لسعة انتشار النظام الألفبائي. ورأى ابن دريد أن نظام التقلبات الذي ابتدعه الخليل، أساس سليم لاستيعاب معظم مواد اللغة العربية، إن لم نقل جميعا. فأحب أن يجمع بين النظام الألفبائي والتقلبات. ولهذا المدرسة أسس في تنظيم المعجم.

الأساس الأول: تقسيم المعجم إلى أبنية بالنظر إلى حروفها الأصول: الثنائي المضاعف وما يلحق به، والثلاثي وما يلحق به، والرباعي وما يلحق به، والخماسي وما يلحق به. وأتبع هذه الأبواب أبوابا للفيف والنوادر، أي إن ابن دريد جعل تقسيم الأبنية هو الأساس الأول في معجمه، وليس كما جاء في العين.

والأساس الثاني: تقسيم كل بناء إلى حروف على الترتيب الألفبائي على الصورة التالية: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي. وبدأ كل باب بالحرف المعقود له مع ما يليه في الترتيب الألفبائي، فمثلا في باب (التاء) بدأ بها مع التاء، ثم بها مع الجيم، وبعد نهاية

الحروف تأتي التاء مع الهمزة، ثم التاء مع الباء. وهنا يختلف الجمهرة عن العين لكونه رتب الحروف على الترتيب الألفبائي وليس الترتيب الصوتي، وهذا من مواطن التجديد في الجمهرة.

والأساس الثاني: تقليب الكلمات. وهو تقليب الألفاظ التي تقع تحت كل حرف على الصور المستعملة في العربية.

(3) مدرسة التقفية

وحدث التغيير الكبير في تأليف المعجم العربي حينما تُركت كل الأسس الثلاثة التي بُني عليها معجم العين والمعاجم التي تبعتها، وكان هذا التغيير في طريقة جديدة في المعجم، وهي ترتيب المعجم ترتيباً ألفبائياً على الحرف الأخير باباً والأول فصلاً، ففي هذه المدرسة تُرك الترتيب الصوتي للحروف وهو الأساس الأول لمعجم العين، وتقسيم الكلمات على الأبنية وهو الأساس الثاني، وتقليب الكلمات على الأوجه المستعملة وهو الأساس الثالث.

الأساس الأول: تقسيم المعجم إلى أبواب بعدد الحروف. انطلق ترتيب الكلمات في هذه المدرسة من الحرف الأخير يجعله باباً، وجاءت الأبواب على الترتيب الألفبائي على النحو التالي: (باب الهمزة، باب الباء، باب التاء...)، ويقع تحت كل باب الكلمات التي انتهت بالحرف الذي سمي به الباب، لا فرق بين الثلاثي والتنائي والرابعي والخماسي، كلها وضعت تحته، ورُتبت ترتيباً داخلياً على الحرف الأول، وهو الأساس الثاني فيما يلي.

الأساس الثاني: تقسيم كل باب إلى فصول بعدد الحروف، كل فصل يبدأ بحرف، ورُتبت الفصول على الحرف الأول للكلمة. وإذا تعددت كلمات الفصل الواحد رُتبت بمراعاة الحرف الثاني وما بعده، فمثلاً نجد (فصل الباء) تحت (باب الراء) وفيه (بئر - بتر - بشر - بجر - بجر - بخر...) فنلاحظ أن الكلمات اتفقت في الباب وهو الحرف الأخير، وفي الفصل وهو الحرف الأول، ولكنها اختلفت في الحرف الثاني، ولذا رتبت بالنظر إليه فجاءت الهمزة ثم التاء وهكذا...

(4) مدرسة الترتيب الألفبائي العام

يذكر بعض الباحثين أن المحدثين كانوا أسبق من اللغويين في وضع الأسس الأولى للترتيب الألفبائي القائم على تنظيم مفردات المعجم وفق أوائل أصولها (جذورها) وحسب الترتيب الهجائي المعروف اليوم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه بالإمام البخاري الذي كان يرتب أسماء الرواة على هذا الترتيب مراعيًا فقط الحرف الأول من الاسم، وبابن قتيبة الذي رتب كلمات كتابه "غريب الحديث" حسب الحرف الأول أيضاً. ولكن اللغويين يقولون أن أبا عمرو اسحق بن مرار الشيباني سبقهما إلى هذا الترتيب في معجمه "الجيم".

و الترتيب الألفبائي العام الذي يقال بها النظام الألفبائي حسب أصول الكلمة هو الطريقة الأقرب إلى التفكير الأولي عند النظرة الأولى إلى الكلمة، فرتبت هذه المدرسة الكلمات بعد تجريدتها من الزوائد حسب الحرف الأول ثم الثاني وهكذا. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا النظام قد التزم التزاما كليا في المعاجم العربية لأول مرة حينما ألف الزمخشري كتابه "أساس البلاغة" في القرن السادس، ولكن بعضهم أثبتوا أو أول من ابتدع هذا النظام هو أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي عندما تناول معجم "الصحيح" ورتبه على حروف الألفباء. وهكذا يكون البرمكي السابق إلى هذا النظام، ويكون الزمخشري أول من ألف معجما عليه، باعتبار أن الأول كان له فضل الترتيب لا التأليف.

(5) مدرسة الترتيب النطقي

لا شك في أن مراعاة أصول الكلمات في ترتيب مواد المعجم، مهما كان النظام المتبع في الترتيب، فيه من الصعوبة الشيء الكثير، وبخاصة بالنسبة لطلاب المرحلة الابتدائية والمتوسطة حتى الثانوية. إذ على الذي يبحث في معنى كلمة، أو طريقة كتابتها، أو نطقها أن يكون متقنا للمهارات التالية، وهي: (1) تجريد الكلمة من حروف الزوائد، (2) إرجاع الحروف اللينة إلى أصلها، (3) إعادة الحروف المحذوفة. والكلمة مثل "نساء" نجدها في مادة "مرؤ"، و"منطاد" في مادة "طود"، و"ثقات" الموجودة في مادة "وثق"... إلخ. للعلاج من تلك المشكلة، وضعت معاجم ميسرة الشرح والتبويب، ورتبت الكلمات المعجمية حسب نطقها لا حسب جذورها.

ويبدو أن هذا الترتيب "النطقي" كان قد ظهر عند العرب منذ القدم، إذ سار الكفوري في الكليات والجرجاني في التعريفات وغيرها. لكن العرب تجنبوه، لأنه يفصم عرى المادة الواحدة، إذ عليه، نجد كلمة "كتاب" مثلا في فصل الكاف، ومكتوب في فصل الميم، واستكتب في فصل الهمزة... إلخ. فاختفى هذا الترتيب إلى أن ظهر مجددا على يد الشيخ محمد البخاري المصري الذي أخذ "لسان العرب" و"القاموس المحيط"، وأعاد ترتيبهما على الحروف الهجائية ووفق أوائل الكلمات، مهما الاشتقاق والتجريد.

خاتمة

إن العامل الرئيسي الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم العربية هو القرآن الذي لأجله حاول اللغويون والمعجميون - أثناء عصر التدوين - على تنظيم النظرية المعجمية التي تشتمل على المستوى اللغوي ودائرة اللغة والتحليل الدلالي. فيعرف أن المعاجم العربية بالنظر إلى مدخل ترتيب المواد تنقسم على نوعين؛ معاجم المعاني

ومعاجم الألفاظ. فتعتبر معاجم المعاني من نوع المعجم الموضوعي حيث تصنف المواد حسب نظرية الحقول الدلالية. وأما ومعاجم الألفاظ فينشأ نظام ترتيب موادها حيناً بعد حين حتى توجد هناك خمس مدارس أو أنظمة الترتيب وهي: مدرسة الترتيب الصوتي، ومدرسة الترتيب الألفبائي الخاص، ومدرسة التقفية، ومدرسة الترتيب الألفبائي العام، مدرسة الترتيب النطقي.

نظراً إلى اهتمام اللغويين العرب والمعجميين القدامى، فيعرف كيف كان القرآن الكريم يؤثر إلى تنمية النظرية المعجمية والأنظمة الترتيبية لمواد المعاجم العربية. قال الله تعالى: "وكذلك أنزلناه حكماً عربياً...".²³

- ¹ عرف الأشوريون المعاجم المزدوجة قبل أكثر من ستة قرون من الميلاد، ووضع هوشن الصيني سنة 150 ق.م. معجماً سماه "شوفان" كما ألف كوبي وانج معجماً سماه "يويان" وقد طبع سنة 530 م. ووضع اليونانيون معاجم عدة قبل العرب، منها معجم يوليوس بولكس ومعجم هلاديوس الإسكندري. ومن المعاجم القديمة أيضاً معجم "فاليريوس فلاكوس" الذي وضعه في عهد الامبراطور أغسطس ومعجم هيزيشيوس الاسكندري.
- ² محمد عبد العزيز عبد الدائم. 2006. النظرية اللغوية في التراث العربي. القاهرة - مصر: دار السلام. ص: 246
- ³ إميل يعقوب. 1985. المعاجم اللغوية العربية. بيروت - لبنان: دار العلوم للملايين. ص: 9
- ⁴ أحمد عبد الغفور عطار. 1979. مقدمة الصحاح. بيروت - لبنان: دار العلوم للملايين. ص: 38
- ⁵ المرجع السابق، إميل يعقوب... ص: 24
- ⁶ القرطبي. 1935. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب. ج 1 ص 24
- ⁷ إذ يرى أن عمر بن الخطاب كان يخطب مرة، فخفي عليه معنى "الأب" في قوله تعالى "وفاكهة وأبا" فسأل عنها، كما استفسر ابن عباس عن معنى "فاطر" في قوله تعالى "الحمد لله فاطر السموات والأرض".
- ⁸ حسين نصار. 1968. المعجم العربي: نشأته وتطوره. القاهرة: مكتبة مصر. ج 1 ص 40-45.
- ⁹ عبد الله البستاني. 1928. البستان. بيروت: المطبعة الأميركية. ج 1 ص 34
- ¹⁰ أحمد أمين. 1956. ضحى الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة. ص 263.
- ¹¹ المرجع السابق، محمد عبد العزيز عبد الدائم... ص 248
- ¹² علي القاسمي. 1991. علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض: جامعة الملك سعود. ص 3
- ¹³ المرجع السابق، محمد عبد العزيز عبد الدائم... ص 267
- ¹⁴ السيوطي. 1998. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. بيروت: دار الكتب العلمية. ج 1 ص 48
- ¹⁵ والحقي أن غير المستعمل عند الخليل يشمل أمرين؛ أولهما: المهمل استعمالاً، وهو الذي اكتفى العرب بغيره دون أي يكون ثمة مانع من استخدامه. ويعد هذا المهمل جزءاً من اللغة المقبولة التي تضم اللغة المستعملة واللغة المهملية غير المخطورة. وتأتيها: المخطورة صوتياً، وهو ما يمكن التمثيل له بامتناع أكثر من خمسة أصول في الاسم وأربعة أصول في الفعل وعدم ائتلاف العين والحاء واجتماع بعض الحروف مثل: دعشوقة وجلاهيق... الخ.
- (المرجع السابق، محمد عبد العزيز عبد الدائم. ص 269).
- ولاحظ المخطور مثل ما في باب الخماسي من العين. قال الليث، قال الخليل: الخماسي من الكلمة على خمسة أحرف، ولا بد أن يكون من تلك الخمسة واحد أو اثنان من الحروف الدلتي: ر، ل، ن، ف، ب، م، فإذا جاءت كلمة رباعية أو خماسية لا يكون فيها واحد من هذه الستة، فأعلم أنها ليست بعربية. قال: فإن قلت مثلاً ماذا؟ قال: إن سئلت عن الخضائع، فقل: ليست بعربية، لأنه ليس فيها شيء من تلك الأحرف الستة. وكذلك لو قيل لك ما الخضائع؟ فقل: ليست بعربية لأنه ليس فيه من تلك الأحرف الستة شيء. فمن الخماسي: عفتفس وعفتفس: العفتفس والعفتفس: لغتان مثل جذب وجذب، وهو السبي الخلق المطاوع على الناس. يقال للعفتفس: ما الذي عفتفسه وعفتفسه؟ أي ما الذي أساء خلقه بعدما كان حسن الخلق (الخليل بن أحمد. العين. موقع الوراق. ج 1 ص 160).
- ¹⁶ وذكر حمزة الأصبهاني في كتاب الموازنة فيما نقله عنه المؤرخون قال ذكر الخليل في كتاب (العين) أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المشتمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرابع والخماسي من غير تكرار اثنا عشر ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر: (12305412) الثنائي سبعمائة وستة وخمسون (756) والثلاثي تسعة آلاف وستمائة وخمسون (9000650) والرابع أربعمائة مائة ألف وواحد وتسعون ألفاً وأربعمائة (491400) والخماسي أحد عشر ألف ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ألفاً وستمائة (11793600). وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين: عدة

مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ كُلِّهِ وَمُهْمَلُهُ سِتُّ آلَافٍ أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ أَلْفٌ وَسِتُّعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٌ (6659400) الْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتْمِائَةٌ وَعِشْرُونَ (5620) وَالْمُهْمَلُ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ أَلْفٌ وَثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفًا وَسَبْعِمِائَةٌ وَثَمَانُونَ (6653780) عَدَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ أَلْفٌ وَثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٌ (6653400) وَالْمُعْتَلُّ سِتَّةُ آلَافٍ (6000). الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الصَّحِيحِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَتِسْعِمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ (3944) وَالْمُهْمَلُ مِنْهُ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٌ وَتِسْعَةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ (6089456) الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الْمُعْتَلِّ أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَسَبْعُونَ (1676) وَالْمُهْمَلُ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ آلَافٌ وَثَلَاثُمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ (4324) عَدَّةُ الثَّنَائِيِّ سَبْعِمِائَةٌ وَخَمْسُونَ (750) وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهُ أَرْبَعِمِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَثَمَانُونَ (489) وَالْمُهْمَلُ مِائَتَانِ وَوَاحِدٌ وَسِتُونَ (261) الصَّحِيحُ مِنْهُ سِتْمِائَةٌ وَالْمُعْتَلُّ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ (150) الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الصَّحِيحِ أَرْبَعِمِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ (403) وَالْمُهْمَلُ مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ (197) وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الْمُعْتَلِّ سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ (86) وَالْمُهْمَلُ أَرْبَعَةٌ وَسِتُونَ (64) وَعَدَّةُ الثَّلَاثِيِّ تِسْعَةٌ عَشْرَ أَلْفًا وَسِتْمِائَةٌ وَخَمْسُونَ (19650) الْمُسْتَعْمَلُ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ آلَافٌ وَمِائَتَانِ وَتِسْعَةٌ وَسِتُونَ (4269) وَالْمُهْمَلُ خَمْسَةٌ عَشْرَ أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةٌ وَوَاحِدٌ وَثَمَانُونَ (15381) الصَّحِيحُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ أَلْفًا وَثَمَانُمِائَةٌ (13800) وَالْمُعْتَلُّ سَوَى اللَّفِيْفِ خَمْسَةٌ آلَافٍ وَأَرْبَعِمِائَةٌ (5400) وَاللَّفِيْفُ أَرْبَعِمِائَةٌ وَخَمْسُونَ (450) الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الصَّحِيحِ أَلْفَانِ وَسِتْمِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ (2679) وَالْمُهْمَلُ أَحَدُ عَشْرَ أَلْفًا وَمِائَةٌ وَوَاحِدٌ وَعِشْرُونَ (11121) وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الْمُعْتَلِّ سَوَى اللَّفِيْفِ أَلْفٌ وَأَرْبَعِمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ (1434) وَالْمُهْمَلُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَتِسْعِمِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَسِتُونَ (3966) وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنَ اللَّفِيْفِ مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ (156) وَالْمُهْمَلُ مِائَتَانِ وَأَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ (294) وَعَدَّةُ الرَّبَاعِيِّ ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٌ وَثَلَاثَةٌ آلَافٍ وَأَرْبَعِمِائَةٌ (303400) الْمُسْتَعْمَلُ ثَمَانُمِائَةٌ وَعِشْرُونَ (820) وَالْمُهْمَلُ ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٌ وَأَلْفَانِ وَخَمْسِمِائَةٌ وَثَمَانُونَ (302580) وَعَدَّةُ الْخَمَاسِيِّ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٌ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَسِتْمِائَةٌ (6375600) الْمُسْتَعْمَلُ مِنْهُ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ (42) وَالْمُهْمَلُ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٌ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ وَخَمْسُونَ (6375558) قَالَ الرَّبِيدِيُّ وَهَذَا الْعَدْدُ مِنَ الرَّبَاعِيِّ وَالْخَمَاسِيِّ عَلَى الْخَمْسَةِ وَالْعِشْرِينَ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ خَاصَّةً دُونَ الْهَمْزَةِ وَغَيْرِهَا وَعَلَى الْآلِ يَتَكَرَّرُ فِي الرَّبَاعِيِّ وَالْخَمَاسِيِّ حَرْفٌ مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ قَالَ وَعَدَّةُ الثَّنَائِيِّ الْخَفِيْفِ وَالضَّرْبِيِّ مِنَ الْمُضَاعَفِ عَلَى نَحْوِ مَا لَحِقْنَا فِي الْكِتَابِ : أَلْفَا حَرْفٌ وَمِائَتَانِ حَرْفٌ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا الْمُسْتَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ أَلْفٌ حَرْفٌ وَثَمَانُمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ وَالْمُعْتَلُّ أَرْبَعِمِائَةٌ وَخَمْسُونَ الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الصَّحِيحِ تِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ وَالْمُهْمَلُ أَلْفٌ وَسَبْعِمِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَسِتُونَ وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنَ الْمُعْتَلِّ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ وَالْمُهْمَلُ أَرْبَعِمِائَةٌ وَسَبْعَةٌ

17 التَّصْحِيفُ أَصْلُهُ "أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ اللَّفْظَ مِنْ قِرَاءَتِهِ فِي صَحِيفَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ مِنَ الرَّجَالِ فَيُغَيِّرُهُ عَنِ الصَّوَابِ". وَقَدْ وَقَعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: "وَمَنْ يَغْيِرُ مِنَ الْخَطَا وَالتَّصْحِيفِ". وَكَانُوا يَحْتَرِسُونَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي التَّصْحِيفِ، وَعَدُوهُ شُرُومًا. (محمود سليمان باقوت، 1995. فقه اللغة وعلم اللغة، ص 395). وَمِنَ التَّصْحِيفِ -مَثَلًا- قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: صَحَّفَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدٍ فَقَالَ: يَوْمَ يُغَاثُ (بِالغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ) وَإِنَّمَا هُوَ (بِالْمُهْمَلَةِ). (انظر: كتاب العين للخليل، ج 1 ص 353 فيما يلي نصه: ويوم يُغَاثُ: وَقَعَةٌ كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْحَزْرَجِ. وَيُقَالُ: هُوَ يُغَاثُ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْمَدِينَةِ، قَرِيبٌ مِنْ صَرِيَا، وَهُوَ مَوْضِعٌ أَخَذَهُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ أَبُو الرِّضَا. وَصَرِيَا مَعْمُورَةٌ بِهَمِ الْيَوْمِ. تَقُولُ: دَخَلْنَا فِي التَّغَاثِ وَالرِّشَاءِ يَعْنِي جَمَاعَةَ النَّاسِ). وَفِي "الْمَحْكَمِ وَالْمُحِيطِ الْأَعْظَمِ" لِابْنِ سَيِّدِهِ، كَلِمَةُ الْفَنَسِ: الْأَصْلُ هُوَ أَحَدٌ مَا صَحَّفَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ: الْقَيْسُ، بِبَالِيَاءِ. (انظر: "المحکم والمحيط الأعظم" لابن سيده، ج 3 ص 5).

وَالَّذِي أَوْقَعَ أَصْحَابَ الْمَعَاجِمِ فِي التَّصْحِيفِ هُوَ أَنَّهُ دَائِمًا مَا يَحْدُثُ التَّبَاسُ بَيْنَ السَّيْنِ وَالشَّيْنِ، وَالْعَيْنِ وَالغَيْنِ؛ ثُمَّ إِنَّ كِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَبِينُ نَلْقَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَرْتَمِيهَا، وَتَحْتَاجُ إِلَى إِشَارَاتٍ مُضَافَةٍ لِإِبَانَةِ ذَلِكَ. فَالْأَلْفَاظُ الْعَرَبِيَّةُ بغيرِ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى عَدَدِ أَوْجَعِ، وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَلَّا تَقَعَ هَذِهِ الْإِشَارَاتُ الْمُضَافَةُ فِي مَوْقِعِهَا الصَّحِيحِ بِسَبَبِ إِهْمَالِ الْكَاتِبِ أَوْ تَعْيِهِ، وَلَمْ يَأْبَهُ أَصْحَابُ الْمَعَاجِمِ الْأُولَى لِدَفْعِ هَذَا الْخَطَرِ عَنْ كِتَابِهِمْ (حَسِينُ نَصَارِ. الْمَعْجَمُ الْعَرَبِيُّ ج 2 ص 711).

18 طَرِدَ أَصْلُهُ تَتَابَعٌ وَاسْتِمْرَارٌ. وَشَازَ أَصْلُهُ تَفَرَّقَ وَتَفَرَّدَ. وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْأَطْرَادِ وَالشَّدُودِ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَضْرَبَ: (أَوَّلًا) مُطَرِدٌ فِي الْقِيَاسِ وَالِاسْتِعْمَالِ جَمِيعًا وَهَذَا هُوَ الْعَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ نَحْوَ قَامَ زَيْدٌ وَضَرِبْتُ مَرًّا وَمَرَّرْتُ بِسَعِيدٍ. وَ(ثَانِيًا) مُطَرِدٌ فِي الْقِيَاسِ شَازَ فِي الْاسْتِعْمَالِ وَذَلِكَ نَحْوَ الْمَاضِي مِنَ يَذَرُ وَيَذَعُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: مَكَانٌ مُثْقَلٌ هَذَا هُوَ الْقِيَاسُ الْأَكْثَرُ فِي السَّمَاعِ بِأَقْلٍ وَالْأَوَّلُ مَسْمُوعٌ أَيْضًا حَكَاهُ أَبُو زَيْدٍ فِي كِتَابِ (حَيْلَةَ وَحَالَةَ) وَأَنْشَدَ: - مِنْ الرَّجَزِ - (أَعْمَاشِي بَعْدَكَ وَإِذْ مُثْقَلٌ...). وَمِمَّا يَقْوَى فِي الْقِيَاسِ وَيُضَعِّفُ فِي الْاسْتِعْمَالِ اسْتِعْمَالُ مَفْعُولٍ عَسَى اسْمًا صَرِيحًا نَحْوَ قَوْلِكَ: عَسَى زَيْدٌ قَائِمًا أَوْ قِيَامًا هَذَا هُوَ الْقِيَاسُ غَيْرُ أَنَّ السَّمَاعَ وَرَدَّ بِحُظْرِهِ وَالِاقْتِصَارَ عَلَى تَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْأَسْمِ هَاهُنَا وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَقُومَ (و) (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ)) وَقَدْ جَاءَ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَوَّلِ أَنْشَدْنَا أَبُو عَلِيٍّ: - مِنْ الرَّجَزِ - (أَكْفَرْتُ فِي الْعَدْلِ مُلْحَأًا دَائِمًا... لَا تَعْدَلُنِي إِنْ عَسَيْتُ صَائِمًا) وَمِنْهُ الْمَثَلُ السَّائِرُ: عَسَى الْعَوِيُّرُ أَنْ يُسَا (و) (ثَالِثًا) مُطَرِدٌ فِي الْاسْتِعْمَالِ شَازَ فِي الْقِيَاسِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ: أَخْوَصَ الرِّثْمُتِ وَاسْتَنْصَوْتِ الْأَمْرَ أَخْبَرْنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: يُقَالُ: اسْتَنْصَوْتِ الشَّيْءَ وَلَا يُقَالُ اسْتَنْصَبْتُ. وَمِنْهُ اسْتَحْوَذَ وَأَغْيَلَتِ الْمَرَاةَ وَاسْتَنْصَوْتُ الْجَمْلُ وَاسْتَنْصَبْتُ الشَّاةَ وَاسْتَنْصَبْتُ الْجَمْلُ (قَالَ أَبُو النَّجْمِ: - مِنْ الرَّجَزِ - (يَدِيرُ عَيْتِي مُصْنَعَبٌ مُسْتَفِيلٌ...)) وَ(رَابِعًا) شَازَ فِي الْقِيَاسِ وَالِاسْتِعْمَالِ جَمِيعًا وَهُوَ كَتْمِيمٌ مَفْعُولٌ مِمَّا عَيْنَهُ وَآو (أَوْ يَاءً) نَحْوَ ثُوبٍ مُصَوَّنٍ وَمَسْكٌ مُدَوِّفٌ وَحَكِي الْبَغْدَادِيُّونَ: فَرَسٌ مُقَوَّدٌ وَرَجُلٌ مَعْوُودٌ مِنْ مَرَضِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ شَازَ فِي الْقِيَاسِ وَالِاسْتِعْمَالِ فَلَا يَسُوغُ الْقِيَاسُ عَلَيْهِ وَلَا رَدُّ غَيْرِهِ إِلَيْهِ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا طَرِدَ فِي الْاسْتِعْمَالِ وَشَدَّ عَنِ الْقِيَاسِ فَلَا بَدَّ مِنْ اتِّبَاعِ السَّمْعِ الْوَارِدِ بِهِ فِيهِ نَفْسَهُ لَكِنَّهُ لَا يَتَّخِذُ أَصْلًا يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ إِلَّا تَرَى أَنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ (اسْتَحْوَذَ) وَ (اسْتَنْصَبَ) أَدَّبْتَهُمَا بِجَاهِلِيَّةٍ وَلَمْ تَتَجَاوَزْ مَا وَرَدَ بِهِ السَّمْعُ فِيهِمَا إِلَى غَيْرِهِمَا فَلَا تَقُولُ فِي اسْتِقَامِ اسْتَقْوَمَ وَلَا فِي اسْتَبَاعِ اسْتَبَعَّ وَلَا فِي أَعَادِ اعْوَدَ لَوْ (لَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا مِنْ

ذلك) قياساً على قولهم : أَخْوَصَ الرَّمَثُ. فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك وحريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم لم يقولوها ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعهما. ومن ذلك استعمال (أن) بعد كاد نحو قولك : كاد زيد أن يقوم وهو قليل شاذ في الاستعمال وإن لم يكن قبيحاً ولا مائياً في القياس. قال : ومن الشواذ باب فَعَل يفعل بكسر العين فيهما وكوثر وورخ وويق وويق ووفق وومق وورم ووري الزند وولي ولاية وَيَس يَبْس لُغَةً في يس لُغَةً يَبْس يَبْس ويقال : أورش الشجر إذا اصفرَّ ورقه فهو وارس ولا يقال مُورس وهو من الشواذ . ومن الشواذ أيضاً قولهم : القُود والقُور والحُول والحُور وقولهم : أحوجني الأمر وأرُوح اللحم وأشود الرجل من سواد لون الولد وأحوز الإبل أي سار بها وأعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب. (السيوطي. المزهري. ص 184-180).

¹⁹ المرجع السابق، محمد عبد العزيز عبد الدائم... ص 277-281.

²⁰ ابن فارس. 2002. مقاييس اللغة. مصدر الكتاب: awu-dam.org. ج 2 ص 173
²¹ من ذلك قول الله سبحانه: " ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تزجهم هزا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهر ما لا بال له؛ كالجدع وساق الشجرة ونحو ذلك. ومنه العسف والأسف؛ والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين؛ كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين. (انظر: عثمان بن جني الموصلية. (دون سنة). الخصائص. موقع الوراق. ج 1 ص 154)
²² سالم سليمان الخماس. 1428 هـ. المعجم وعلم الدلالة. موقع لسان العرب. ص: 197.
²³ سورة الرعد آية 37

المراجع:

- محمد عبد العزيز عبد الدائم. 2006. النظرية اللغوية في التراث العربي. القاهرة - مصر: دار السلام.
- إميل يعقوب. 1985. المعاجم اللغوية العربية. بيروت - لبنان: دار العلوم للملايين.
- أحمد عبد الغفور عطار. 1979. مقدمة الصحاح. بيروت - لبنان: دار العلوم للملايين.
- القرطبي. 1935. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب.
- حسين نصار. 1968. المعجم العربي: نشأته وتطوره. القاهرة: مكتبة مصر.
- عبد الله البستاني. 1928. البستان. بيروت: المطبعة الأميركية.
- أحمد أمين. 1956. ضحى الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة. علي القاسمي.
1991. علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض: جامعة الملك سعود.
- السيوطي. 1998. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخليل بن أحمد. العين. موقع الوراق.
- محمود سليمان ياقوت. 1995. فقه اللغة وعلم اللغة.
- حسين نصار. المعجم العربي.
- ابن فارس. 2002. مقاييس اللغة. مصدر الكتاب: awu-dam.org.
- عثمان بن جني الموصلية. (دون سنة). الخصائص. موقع الوراق.
- سالم سليمان الخماس. 1428 هـ. المعجم وعلم الدلالة. موقع لسان العرب.

R. Taufiqurrochman, adalah Dosen tetap Jurusan Pendidikan bahasa Arab
Fakultas Humaniora dan Budaya UIN Maulana Malik Ibrahim Malang.